

مذكرات حاج

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدي الشيخ / محمد الحافظ التجاني المصري

مذكرات حاج

- السبت ٣٠ من ذى القعدة : ولما حانت ساعة الرحيل أقلعت بنا الباخرة من السويس باسم الله مجريها ومرساها ، وهى تشق عباب الماء شطر البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً ، وكان مخدعى فى القمرة ٧٤ ، ولى فيها زميلان أحدهما من مراكش والآخر من القاهرة وكان هذان أول من عرفت من الحجاج ، ثم تعرفت بقوم كثيرين لا تحضرنى أسماؤهم ولا حديث لهم إلا البلاد المقدسة التى يقصدون إليها ، وكان يغمرنى شعور دافق بالسعادة ويفيض قلبى بالسرور .

- الاثنين ٢ منه : اغتسلت صباح اليوم تمهيداً للإحرام ، وأزلت الشعث وتجردت من المحيط والمخيط ، ولبست إزاراً ورداءً ونعلين ، ثم صليت ركعتين أحرمتهما بالحج فقط وهو ما يسمى فى عرف الفقهاء بالإفراد ، وقد أحرمنا حين حاذت الباخرة ميناء رابغ وهو الميقات المقرر للمصريين والمغاربة .

وسرعان ما بدا الحجاج بلباس واحد متشابه لوناً وشكلاً ، وقد كشفوا رؤوسهم وشيبتهم وشبابهم ، وتجلت المساواة بينهم ، وكان منظرهم رائعاً وهم يرددون على الباخرة " لبيك اللهم لبيك ... " وكأنهم جنود يتأهبون للميدان ، ولكنهم اليوم جنود السلام يتأهبون لمجاهدة النفس والشيطان ، وصلت الباخرة إلى ميناء جدة فى المساء فتقرر المبيت بها إلى صباح اليوم التالى .

- الثلاثاء ٣ منه : كانت الباخرة ترسو بعيدة عن الشاطئ لأن ميناء جدة مليئة بالشعاب ، فنزلنا فى الصباح المبكر فى قارب شراعى حتى وصلنا إلى الميناء ، ولما وصلت إلى الجمرك قيل لى : من مطوفك ؟ قلت : فلان ، فوجدت شاباً فى انتظارى أخذ منى جواز السفر ، ثم أحضر شيئاً حمل متاعى إلى الجمرك لتفتيشه ، ثم جاءت عربة فحملته إلى منزل وكيل المطوف بجدة ، وركبنا السيارة بعد الظهر فوصلنا مكة فى أذان المغرب حيث وجدت مندوب المطوف فى انتظارى ، فأحضر شيئاً لحمل المتاع إلى المنزل ، وتوضأت فى منزل المطوف ، ثم صحبنى نجله

إلى المسجد الحرام ، فلما دخلته أخذتني هيبة الجلال وشعرت شعوراً غريباً بأني غريب في الدنيا وكأني عدت الآن إلى وطني الحقيقي ، وأدركت تفاهة الحياة وحقارتها حين رأيت أن الله تعالى اختار لبيته أرضاً صحراء جدباء خالية من مظاهر النعيم ، وكان الله أراد أن يظل بيته آمناً من أن تمتد إليه أيدي الطامعين من الغزاة والمعتدين فجرده من كل الحظوظ التي تهواها النفوس .

أديت طواف القدوم ، واستطعت أن أقبل الحجر الأسود ، ثم خرجت للسعي بين الصفا والمروة ، ثم بت تلك الليلة في منزل المطوف .

كان نجل المطوف الذي رافقني شاباً فتياً من طلاب مدرسة البعثات بمكة وفهمت من خلال حديثه أن أستاذه فيها زميلي ، ولما عرف هو هذه الحقيقة بدأ يباليغ في إكرامى ، واستطعت أن أتحدث إليه في حرية فسألته عن النظام المتبع في الحج ؟ ففهمت أن العمل يجرى عندهم على نقل الحجاج من مكة إلى عرفات رأساً دون المبيت بمنى ، وعند الإفاضة من عرفات يتولى المطوف نقلهم إلى منى رأساً دون المبيت بمزدلفة ، فقلت له : إن السنة أن يصلى الحاج فى منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم فجر يوم عرفة وبعد الفجر يتوجه إلى عرفات ، وأخبرته بأن المبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج ، ولما بدا لي أنه لا فائدة من المناقشة صارحته بأنه لا يسعنى أن أكون تبعاً له وأننى مصمم على المبيت بمنى ومزدلفة .

- الأربعاء ٤ منه : ولما أصبح الصباح قابلت الشيخ عمر نزيل مكة المكرمة ، واتفقت معه

على أن يكون رفيقى فى الحج ، فرحب بى ونقلت متاعى من بيت المطوف إلى منزله .

- السبت ٧ منه : لشد ما كان سرورى - بينما كنت جالساً أنظر إلى الكعبة المشرفة - حين

رفعت بصرى فوجدت سيدى محمد اللقانى مقبلاً على ، فأخبرنى برحلته فى بلاد المغرب ومقابلته للمغفور له سيدى الحاج أحمد سكيرج قاضى مدينة سطاظ بمراكش ، واتفقنا على أن نكون رفيقين فى الحج .

- الأحد ٨ منه : هذا هو يوم التروية إذ يخرج الحجاج من مكة إلى منى ، تركت الشيخ عمر يتهياً للسير إلى منى ، وصحبت سيدى اللقانى ، واخترنا أن نذهب إليها على الأقدام ، ووصلنا مسجد الخيف قبيل الظهر ، وصلينا بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم الفجر طبقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبث ليلة الاثنين فى خيمة الشيخ عمر التى أحضرها معه من مكة .

- الاثنين ٩ منه ، يوم عرفة : وبعد أن أدينا صلاة الصبح نقلنا الخيمة على أحد الجمال إلى عرفات ، وسرت والشيخ عمر خلف البعير ومعنا مصطفى ذلك الخادم الأمين .
كان الطريق حافلاً بالناس شيباً وشباناً ، رجالاً وركباناً ، زرافات ووحداناً ، منهم من يركب الحمير ومنهم من يركب السيارات ، ولكن الجم الغفير كان يمشى على الأقدام .
ولما وصلنا إلى وادى محسر أمطرت علينا السماء ولم نكن نلبس ما نخشى عليه المطر ، ثم اشتد المطر قبيل وصولنا عرفة وانهمر انهماراً غزيراً حتى غسل ردائى وإزارى ، ولما اقتربنا من العلمين التقيت بالسيد اللقانى ، ولما اقتربنا من عرفات ازدادت جموع الوافدين حتى خيل إلى أن اليوم يوم الحشر ، تأثر رفيقى الشيخ عمر من هذا المنظر فخلع نعليه وأجهش بالبكاء وكانت السماء لا تزال تبكى بكاءً شديداً ، وخلعت أنا نعلى اقتداءً بالشيخ عمر ، ودخلنا عرفات حافيين ، ولما وصلنا عرفة أشرقت ذكاءً فملأت الأرض نوراً وضياءً ، وأشاعت فى الجو دفئاً وحرارة حتى جف إزارى وردائى ، وكان وصولنا عرفة قبل الظهر فخيمنا فيها واغتسلت غسل عرفة بجوار الخيمة ، ثم ذهبت إلى مسجد نمرة وصليت الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، ثم عدت وأخذت أذكر الله تعالى فى هذا الموطن العظيم .

كان يوماً مشهوداً برق فيه البرق وزجر الرعد ، وجادت فيه السماء بماء منهمر ، وهبت الريح بشدة حتى كادت تقتلع الخيمة ، وظل المطر ينهمر حتى حان وقت الغروب فأطلق المدفع

إيداناً بالإفاضة من عرفات ، فدفعنا منها إلى مزدلفة فوصلناها قبيل العشاء ، وصلينا فيها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ، وبتنا فيها قرب المشعر الحرام .

- الثلاثاء ١٠ منه ، يوم النحر : ارتحلنا من مزدلفة بعد صلاة الصبح بعُلس ، ووقفنا عند المشعر الحرام وذكرنا الله تعالى ثم توجهنا إلى منى ، وما إن وصلت إليها حتى رميت جمرة العقبة بسبع حصيات التقطتها من المزدلفة وشعرت عقبها بحمى خفيفة وصداع فاستلقيت على الفراش لأستريح ، ثم استيقظت بعد قليل فوجدت مصطفى الخادم قد أحضر الحلاق فحلق لى شعري ، وبهذا الحلاق حل لى كل ما حرم على ما عدا الطيب والنساء .
وذهبت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة وبذلك حل لى كل شئ ، ثم عدت إلى منى وبت بها ثلاث ليال ، وعدنا إلى مكة يوم الجمعة .

- السبت ١٤ منه : أدت العمرة اليوم ، فاستأجرت حماراً إلى التنعيم وأحرمت منها ثم عدت إلى البيت الحرام فطفت وسعيت وتحللت بالحلق .

- الاثنين ٢٦ منه : طفت طواف الوداع ، وما أقسى ساعة الوداع ، ثم أقلتنا السيارة إلى جدة فى طريقنا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ووصلناها صباح الأربعاء فذهبتنا توأاً إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسلمنا عليه وصلينا فى الروضة الشريفة ، ولا تسل عما شعرنا به من راحة وسعادة عند وصولنا إلى المدينة فقد زالت كل آثار التعب ، وغطى السرور على ما لقينا فى سفرنا من نصب .

ولما عدت إلى المنزل الذى نزلت فيه دهشت حين رأيت السيد اللقانى فأخذ حوائجى إلى منزله وأقامت عنده بالمدينة ما شاء الله أن أقيم .

نسأل الله أن يكتب لنا العودة إلى بيته الحرام إنه سميع مجيب .

محمد الحافظ التجانى